المبحث الثالث

دعوة المسيح عليه السلام وحواريُّوه ومعجزاته

(ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة)[1]، وكان يوحنا المعمدان يقول: (حسناً قد انقضى زمني، وعندما أذهب أنا يحلُّ من هو أبهى منِّي، الَّذي كنت أترقَّبه. أنتم أنفسكم تشهدون لي أنِّي قلت: لست أنا المسيح إنِّي مرسَلٌ أمامه، ما أنا إلا صديق العروس المتواضع يكمل فرحي به، وها أنا أصمت، ولكن في الصمت المحيط بي أتسمع صوت العريس، لذلك أنا أفرح، هو يزيد وأنا أنقص، إذن فرحي هذا قد كَمُلَ)[2].

وبعد ذلك بمدَّة بسيطة قَبضَ (هيرودس) على يوحنا المعمدان، وزجَّ به في أحد حصون فلسطين الجنوبية الَّتي تطلُّ على مياه البحر الميت الرَّاكدة، للأسباب الَّتي ذكرتها آنفاً. (ولمَّا سمع يسوع أنَّ يوحنا قد أسْلِمَ انصرف إلى الجليل وترك

---

(١) إنجيل لوقا: ٣/ ٢٣.

(٢) راجع كتاب: حياة يسوع للدكتور (بترسون سميث) ترجمة حبيب سعيد ط ٢ صدر عن دار الشَّرق والغرب بمصر وفلسطين ص: ٩٦.

النَّاصرة، وجاء فسكن في كفر ناحوم...)[1]. يقول صاحب كتاب: حياة يسوع، تعليقاً على مُغادرة المسيح عليه السلام لأورشليم إلى كفر ناحوم: (لأنه علم أنّ الفريسيين[2] سمعوا أنَّه يُصَيِّر، ويُعمِّد تلاميذ أكثر من يوحنا، ومعنى هذا أنَّهم كانوا يراقبونه، وأنَّ القبض عليه سوف يعقب القبض على يوحنا حالاً... ولذلك ختم خدمته الَّتي سُرَّ بها في تلال اليهودية، ومضى إلى الجليل مجتازاً السامرة).

(ومنذئذٍ إذ ابتدأ يسوع يكرز، ويقول: توبوا، فقد اقترب ملكوت السماوات)[3].

تلاميذ المسيح عليه السلام:

عندما شرع المسيح يدعو حرص أول ما حرص على اختياره تلاميذه من الأشخاص الَّذين يمرُّ بهم في طريقه إلى أورشليم من الجليل (وفيما كان ماشياً على شاطئ بحر الجليل

---

(١) إنجيل متى: ٤/ ١٢.

(٢) الفريسيون: طائفة من اليهود جامعين للرِّاء والعنف، وكانوا يقولون: إنَّ الدين والعبادة في الأمور الظَّاهرة لا غير، ويفسدون شريعة الله بتفاسيرهم الباطلة. (راجع حواشي على المجلَّد الثَّالث من الكتاب المقدَّس إنجيل متى: ٣، المطبعة الكاثوليكية بيروت عام ١٩٦٤م)، وراجع كتاب: مع المسيح في الأناجيل الأربعة لفتحي عثمان ص: ٦٦.

(٣) راجع كتاب: حياة يسوع لبترسون سميث ص: ٩٦.

رأى (سمعان) و(أندرواس) أخاه يلقيان شباكاً في البحر؛ لأنهما كانا صيادين، فقال لهما يسوع: اتّبعاني، فأجعلكما صيَّادي النَّاس، فللوقت تركا الشِّباك وتبعاه. وجاز من هناك قليلاً، فرأى (يعقوب بن زبدى) و(يوحنا)أخاه وهما في السفينة يصلحان الشِّباك، فدعاهما للوقت، فتركا أباهما زبدى في السَّفينة مع الأُجراء وتبعاه. ودخلوا كفر ناحوم وللوقت دخل المجمع في السَّبت، وكان يعلمهم)[1]. (فخرج بعد ذلك، فرأى عشاراً اسمه (لاوى)[2] جالساً عند مائدة الجباية، فقال له: اتَّبعني، فترك كل شيء، وقام، وتبعه).

ويقول (متى): (ودعا تلاميذه الاثني عشر، وأعطاهم سلطاناً على الأرواح النَّجسة، لكي يخرجوها، ويشفوا كلَّ مرضٍ وكُلَّ ضعفٍ. وهذه أسماء الاثنا عشر رسولاً: الأوّل سمعان المدعو بطرس، ثمَّ إندرواس أخوه، ويعقوب بن زبدى، ويوحنا أخوه، وفليبس، وبرتلماوس، وتوما، ومتى العشَّار، ويعقوب بن حلفي، وتداوس، وسمعان القانوني، ويهوذا الإسخريوطي الَّذي أَسْلَمَهُ. هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأمرهم قائلاً:

(١) إنجيل مرقس: ١/ ١٦-٢١.
(٢) هو متى صاحب الإنجيل.

إلى طريق الأمـــم لا تتَّجهوا ومدن السَّـــامريين لا تدخلوا، بل انطلقوا بالحرى إلى الخراف الضَّالة من آل إسرائيل)[1].

(وقـــال لهم: لا تحملوا فـــي الطَّريق شـــيئاً، لا عصاً، ولا مـــزوداً، ولا خبزاً، ولا فضةً، ولا يكـــون لكم ثوبان، وأي بيتٍ دخلتموه، فهناك امكثوا، ومن ثمَّ لا تخرجوا)[2]. وقال لهم: (ها أنا مرســـلكم مثل خراف بين ذئاب، فكونوا حكماء كالحيات وودعاء كالحمام)[3].

وعن التلاميذ يقول أســـتاذ المســـيحية ورئيس قسم تاريخ الأديان في جامعة باريس: (كان أصحاب عيسى وأتباعه يهوداً ســـذَّجاً بسطاء ليس لهم شـــأنٌ في قومهم، ولا يمتازون بثقافة كبيرة، واقتصر طموحهم على الرَّغبة في دفع (الخراف الضَّالة في بيت إســـرائيل) نحو طريق النَّجاة. وجميع الدَّلائل تحملنا على الاعتقاد بتعصُّبهم لبني جلدتهم من اليهود، وكانت فكرة تبشـــير الوثنيين بعيدة كلَّ البعد عن عقولهم. بل الواقع أنَّه كان من ضروب المستحيل أن يتصوَّروا إمكان انتشار الإنجيل بين رجال لم يؤمنوا بالعقيدة اليهودية قبل ذلك.

---

(١) إنجيل متى: ١٠/ ١-٦.
(٢) إنجيل لوقا: ٩/ ٣.
(٣) إنجيل لوقا: ٩/ ٣.

وخلاصة القول: إنه لم يتبقَّ لدينا أيُّ معلوماتٍ يمكن الاعتماد عليها عن حياة أصحاب عيسى المباشرين سوى الفصول الأولى من مجموعة «أعمال الرُّسل» وحتَّى هذه الفصول لم تصل إلينا إلا في نسخة تختلف كثيراً - وبصورة تدعو إلى الشَّك - عن النَّص الأوَّل. وإن هذا الصمت ليدعو إلى الاعتقاد أنهم لم يقوموا بأعمال خارقة والمرجَّح أنَّهم لم يكونوا ليستطيعوا ذلك[1].

ويقول مؤرِّخ قصة الحضارة: (ويصعب علينا أن نقول: إنَّ أولئك الرسل كانوا من طراز الذين يختارون ليبدِّلوا أقوال العالم، فالأناجيل تظهر ما بين أخلاقهم من اختلاف واقعيٍ، وتكشف عن عيوبهم كشفاً صريحاً، فهم لا يخفون مطامعهم. وكانوا في طوافهم مع المسيح في رحلته التبشيرية يعيشون على ما يقدِّمه القرويون، ويأخذون طعامهم آناً بعد آن مما يمرُّون به من الحقول، ويقبلون ضيافة أصدقائهم ومن يهتدون بهديهم. وقد أضاف عيسى إلى الاثني عشر اثنين وسبعين من الأتباع وبعث باثنين منهم إلى كلِّ بلد يريد أن يزورها. وعلى يد هذه

(١) راجع كتاب: المسيحية نشأتها وتطورها لشارل جنيبير، ص: ٥٥، ٦٦.

الجماعة الصغيرة الوضيعة غير المتعلمة أرسل المسيح إنجيله إلى العالم)[1].

تعاليم المسيح لتلاميذه:

وكان يسوع يكثر من وعظ تلاميذه وإرشادهم إلى المثل العليا في الأخلاق والمعاملات. ويحثُّهم على حسن الخلق من قول لين، ومعاملةٍ حسنةٍ، وتجنب الفواحش وما يدعو إليها من نظرٍ وغيره، ويحثُّهم على البذل بالجزء ليسلم الكل كقوله: (فإن أعثرتك عينك اليمنى فاقلعها، وألقها عنك، فإنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك، ولا يُلقى جسدك كله في جهنم)[2]. ويحثهم على المحافظة على روابط الزوجية وعلى عدم الحلف؛ لكي لا يحنثوا في القسم، وحثهم على أبعد معاني التسامح وأصعبه على النفس، كقوله: (قد سمعتم أنه قيل: العين بالعين والسن بالسن، أما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشرير بل من لطمك على خدك فحول له الآخر، ومن أراد أن يخاصمك، ويأخذ ثوبك فخلِّ له رداءك أيضاً، ومن سخرك ميلاً فامشِ معه اثنين)[3].

---

(١) راجع كتاب: قصة الحضارة تأليف ول ديورنت ج٣ م٣ رقم ١١ (قيصر والمسيح) ص: ٢٢٣. (هكذا تعبيره؟!).

(٢) إنجيل متى: ٥/ ٢٩.

(٣) إنجيل متى: ٥/ ٣٨-٤١ (إن صح فهو بمثابة تشريع مؤقت ليكفكف من المادية اليهودية الظالمة. أما التشريع الإسلامي الخالد فقد جاء فمجازاة الظالم بالمثل، ومع هذا حبب في العفو ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]، ٤٠/ ٤٢.